جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد: 4 السنة: 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

الوحدة الانسانية في فكر الشيخ محمد الغزالي

Human Unity in the Thought of Sheikh Muhammad al-Ghazali

بن شيحة سميرة[1]
Samira.1302@yahoo.fr

برامه أحسن[2]
Barama.ahcene@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2025/05/19 تاريخ النشر: 2025/09/15
Received: 19/05/2025 published: 15/09/2025

ملخص المقال :

هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف رؤية الشيخ محمد الغزالي للوحدة الإنسانية في ضوء التحديات المعاصرة مع التركيز على الأسس العقدية والأخلاقية والفكرية التي تقوم عليها هذه الرؤية، واعتمد البحث على المنهج التحليلي لأعمال الغزالي مستندًا إلى النصوص الشرعية وتحليل السياق التاريخي والواقع المعاصر، وتوصلت الدراسة إلى أن الغزالي يرى أن أزمة الإنسانية الحالية تكمن في ابتعادها عن القيم الروحية والأخلاقية التي يؤسس لها الإسلام والتي تعتمد على التوازن بين الروح والمادة واحترام التعددية ضمن إطار المشتركات الإنسانية، كما أكد على دور الإسلام في ترسيخ العدل والمساواة كأساس للوحدة الإنسانية مشيرًا إلى أن ضعف الأمة الإسلامية نتج عن تشويه مقصود للإسلام وتفريط المسلمين في تطبيقه، وخلصت النتائج إلى ضرورة العودة إلى المنظومة الإسلامية الشاملة التي تجمع بين الإصلاح الذاتي والحوار الحضاري لتحقيق الوحدة المنشودة.

كلمات مفتاحية: الوحدة الإنسانية، محمد الغزالي، القيم الإسلامية، الحوار الحضاري، الإصلاح الذاتي.

Abstract:

The study aimed to explore Sheikh Muhammad al-Ghazali's vision of human unity in light of contemporary challenges, focusing on its theological, ethical, and intellectual foundations. Using an analytical approach based on Islamic texts and historical context, the study found that al-Ghazali attributed humanity's crisis to a departure from spiritual and moral values rooted in Islam. He emphasized balance between spirit and matter and respect for human diversity. Islam, in his view, promotes justice and equality as pillars of unity. The study concluded that achieving true unity requires a return to a comprehensive Islamic framework combining self-reform and civilizational dialogue.

Keywords: Human Unity; Mohammed al-Ghazali; Islamic Values; Civilizational Dialogue; Self-Reform.

(1) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر).
(2) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)

مقدّمة:

يرى الشيخ الغزالي أن حل أزمة الهوية الروحية والأخلاقية التي تعانيها الإنسانية يكمن في العودة إلى النموذج الإسلامي القائم على التوازن بين حرمة العقيدة واحترام التعددية مع تأكيد أن الوحدة الإنسانية الحقيقية لا تُبنى على المصالح المادية الزائلة، بل على القيم المشتركة والأخلاق المستمدة من الشريعة الإسلامية، التي تحفظ كرامة الإنسان وتجعل من التنوع مجالًا للتعارف والتعاون بدل الصراع، كما يحذر من الفلسفات المادية التي تروج لوحدة واهية تهمل دور الدين والأخلاق، مؤكدًا أن الإسلام يقدم رؤيةً تقوم على العدل والرحمة والتضامن بين البشر كأسرة واحدة.

وفي خضم هذه التحديات —التي تتعمق اليوم بفعل هيمنة النزعات المادية وانهيار القيم المشتركة— يبرُز سؤالٌ جوهريٌّ: **كيف يمكن لفكر الشيخ محمد الغزالي القائم على الأسس العَقَدِيَّةِ والأخلاقيَّةِ والفكريَّةِ أن يُقدِّمَ إطارًا شاملاً لتحقيق الوحدة الإنسانيَّة في مواجهة التحديات المعاصرة؟** هذا السؤال يُضيء على الحاجة إلى تحليل أطروحات الغزالي في ضوء الواقع المعاصر، سعيًا لاستكشاف كيف يمكن لرؤيته الإصلاحية أن تكون جسرًا لتجاوز الانقسامات وتحقيق التكامل الإنساني.

1. أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

- ✓ الحاجة الملحة لإعادة قراءة الفكر الإصلاحي الإسلامي في ظل تصاعد النزعات العُنصرية والصراعات الهوياتية عالميا.
- ✓ تميز رؤية الشيخ الغزالي بالجمع بين العمق الشرعي والوعي بالواقع الإنساني المعاصر، مما يجعله جسرا بين التراث ومتطلبات العصر.
- ✓ تقديم رؤية عملية لتجسيد "التعارف" القرآني كبديل حضاري عن صراع الحضارات وإحياء لدور الأمة الوسط في الإصلاح العالمي.

2. أهداف الدراسة:

- ✓ إثبات ريادة الإسلام التاريخية في ترسيخ حقوق الإنسان عبر نصوص قرآنية وأحكام فقهية سبقت المواثيق الدولية بقرون.
- ✓ الكشف عن الأسس العقدية والأخلاقية التي تقوم عليها المنظومة الحقوقية في الإسلام كالتكريم الإلهي للإنسان والعدل الشامل.
- ✓ دحض الاتهامات المغلوطة عن الإسلام بخصوص حقوق الإنسان وعرض رؤيته المتكاملة للكرامة الإنسانية التي تَصلُحُ لقيادة الحضارة المعاصرة.

3. هيكل البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وخاتمة وقسمين؛ تضمنت المقدمة أسباب اختيار الموضوع ومستخلص البحث وهيكلته، تلاها القسم الأول الذي تناول الوحدة الإسلامية، ثم القسم الثاني الذي تناول الوحدة الإنسانية في الإسلام، لتأتي الخاتمة حاويةً لأهم النتائج، وختامًا قائمة بالمصادر والمراجع.

الوحدة الإسلامية

1.2 الأسس العقدية:

تُوجَّه اليومَ جهودٌ مُنهَجةٌ لتقديم صورةٍ مشوَّهةٍ للإسلام تُفرِّغه من جوهره التشريعي والحضاري، وتختزله في طقوسٍ فرديةٍ منفصلةٍ عن واقع الحياة، ويُحذِّر الغزالي من دور الاستعمار في تعميق هذه الأزمة عبر تسميم الكيان الإسلامي، وتعطيل الأحكام الشرعية، وزرع نخبٍ تابعةٍ تُكمِل مسيرة الإجهاز على ما تبقَّى من شرائع الإسلام، حتى تقبَّلَتْ جماهيرٌ واسعةٌ الانحرافات الأخلاقية كالربا والزنا، وتخلَّت عن التزاماتها الدينية، في حين تُواجه الدعوات الجادة لإحياء الإسلام بحملاتِ تشويهٍ واضطهاد (الغزالي، مصر، الصفحات 16-17).

ومن جهةٍ أخرى يؤكِّد الغزالي أن تخلف الأمة الإسلامية ليس وليد الاستعمار وحده، بل هو نتيجةُ تفريطِ المسلمين أنفسهم في دينهم عبر القرون، فالشقَّة بين الأمة وتعاليم الإسلام اتسعت حتى انقطعت الصلة في جوانبَ عديدةٍ، فانهارت الدعوة الإسلامية، وفشلت المجتمعات في ترسيخ الأخلاق والعدالة التي أمر بها القرآن الكريم (الغزالي، مصر، الصفحات 18-19).

ويُجسِّدُ الإيمانُ في الإسلامِ القاعدةَ الراسخةَ التي تُشكِّلُ وعيَ الفردِ والمجتمعِ، وتُحدِّدُ مسارَ حياتِهم الروحيَّةِ والماديَّةِ، وفي هذا الصدد يُحذِّرُ الإمامُ الغزاليُّ من وَهْمٍ يَعتقدُ بِه الكثيرونَ أنَّ ضعفَ الأمةِ الإسلاميةِ يكمنُ في فقرِها إلى العقائدِ الراسخةِ، والأخلاقِ الرفيعةِ، والأعمالِ الصالحةِ، فَعَزَّةُ الأممِ تُقاسُ بِقوَّةِ إيمانِها، وتماسكِ قيمِها، وهو ما افتقدَه المسلمونَ في عصورِ تراجعِهم (الغزالي، الظلام من الغرب، ط 4 ،، 2005، صفحة 180).

ولا ينفصلُ الإيمانُ عن الأخلاقِ والعملِ؛ فالتديُّنُ الحقيقيُّ يظهرُ في الصدقِ، وحفظِ الأمانةِ، والعدلِ، وحتى في إتقانِ زراعةِ الأرضِ! ففي الحديثِ: "**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً**" (البخاري، صفحة 2320)، وهكذا تتحوَّلُ أعمالُ الدنيا إلى عبادةٍ بنيَّةٍ صالحةٍ، فالإسلامُ لا يفصلُ بين الروحِ والمادةِ، بل يَجعلُ التقدُّمَ العلميَّ حليفاً للإيمانِ.

ويؤكد العقاد في تحليله للقرآن الكريم أن أسسه العقدية تقوم على وحدةٍ منهجيةٍ فريدة، تجمع بين العقيدة والشريعة، وبين الحجة والتكليف، في نسيجٍ متكاملٍ لا انفصام فيه، فالتوحيد – كأعظم ركن عقدي –هو أساسٌ تُبنى عليه كل التشريعات والأخلاق، حيث تتناغم العبادات مع المقاصد الربانية، وتتسق الأحكام مع الحِكَم الإلهية التي تُخاطب العقلَ والقلب معًا، وهذا التوافق دليلٌ على ربانية المصدر وفيه يلتقي مع الغزالي الذي شدَّد على أن العقدية الإسلامية ليست طقوسًا جامدة، بل منظومة عقلية وروحية تَربط بين الإيمان والعمل (العقاد، سبتمبر 2005، الصفحات 16-20).

وفي تعريف الإنسان بأنه "الكائن المكلَّف" يرى العقاد أن القرآن يرفع مكانته العقدية فوق التصورات المادية أو الفلسفية، إذ يجعل التكليفَ امتدادًا لحكمة الخلق واستخلاف الإنسان في الأرض (العقاد، سبتمبر 2005، صفحة 21)، وهذا التكريم – الذي يتفق مع رؤية الغزالي للإنسان كـ"خليفة الله" – يُلزمه بمسؤولية أخلاقية وعقلية، حيث تُقدَّم الفرائضُ مقرونةً بأسئلة تحث على التفكر: ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾، ﴿**أَفَلَا تَتَدَبَّرُونَ**﴾، وهنا يلتقي العقاد مع الغزالي في تأكيدهما أن الإيمان القرآني ليس هروبًا من العقل، بل حوارٌ معه؛ فالعقل في المنظور العقدي الإسلامي هو أداةُ إدراك الحقائق، ووازعٌ أخلاقي، وبابٌ لفهم الحكمة من التشريعات، ولا غروَ أن يُبرِزَ العقادُ تميزَ القرآن في خطاب العقل، بينما تُظهر كتاباتُ الغزالي كيف يصوغ هذا الخطابُ الإيمانَ صياغةً تقاوم التقليدَ الأعمى.

يَحمِلُ تحليلُ الشيخِ محمد الغزالي رحمه الله رُؤيةً ثاقبةً لواقعِ الأمّةِ الإسلاميةِ حيثُ يُضيءُ بِدقّةٍ على جُذورِ الأزمةِ العَقَدِيَّةِ التي تُعانيها، فإشارتُه إلى انفصالِ العقيدةِ عن واقعِ الحياةِ وتحوُّلِ الدينِ إلى طقوسٍ مُجتَزَأةٍ تُعبِّرُ عن وعيٍ عميقٍ بِخُطورةِ الانزياحِ عن النموذجِ الإسلاميّ الشاملِ الذي يربطُ العبادةَ بالتشريعِ، وهنا يَبرُزُ تميُّزُ الغزالي في نقدِه المزدوجِ: فضحِه لِألاعيبِ الاستعمارِ في تشويهِ الهويةِ، وتَجليةِ تقصيرِ النُّخَبِ الداخليةِ في الدفاعِ عن شرائعِ الإسلامِ (الغزالي، الاسلام الطاقات المعطلة، 2005، صفحة 165).

2.2 الأسس الأخلاقية:

يُشير محمد الغزالي إلى أن ما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم من فوضى وتخلف هو نتاجٌ لانهيار المنظومة الأخلاقية التي تحفظ كيانها، ويؤكد الغزالي أن علاج هذه الأزمات يكمن في إصلاح جذري للنفوس والأخلاق (الغزالي، الطريق من هنا، 1998، صفحة 35)، ولكي تعود الأمة إلى فطرتها السليمة التي أشار إليها القرآن: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الروم: 30).

لقد جعل الإسلامُ الأخلاقَ ركيزةً لنهضة الأمم فبقاؤها مرهون بحيوية قيمها، لكن الواقع المعاصر –كما يصفه الغزالي– يُظهر أمةً تلهث وراء المظاهر المادية للغرب، بينما تتهاوى أخلاقيّاً فتفقد هويتها، فانحدار الأخلاق هو مرضٌ ينخر في كيان الأمة ويُفشي أمراض القلوب (الغزالي، خلق المسلم، 1987، صفحة 33).

ويُوضح محمد الغزالي أن العجزَ في الدول الإسلامية هو انعكاس لأزمة أخلاقية ونفسية فضعف الإدارة مردُّه إلى استغلال المناصب للبحث عن المكاسب الشخصية بدل خدمة المصلحة العامة، أما الهزائم والنكبات فسببُها الرئيسي –برأيه– انهيارُ الروح المعنوية وفقدان الغيرة على الأمة، وهنا يُحذر الغزالي من لوم الاستعمار أو الظروف الخارجية دون مراجعة الذات، فالفشلُ الحقيقي ينبع من إهمال الجوانب الأخلاقية الجوهرية (الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الاسلامية، 1406 هـ، صفحة 52).

ويؤكد أن الأخلاقَ ليست شعاراتٍ تُرفع بل هي ممارسة يومية تُبنى بالتجربة والمعاناة، فالمسلمون صاغوا حضارةً عظيمة لأنهم جسدوا القيمَ في سلوكهم، فكانوا نماذجَ للشرف والإتقان، بينما تحوّل كثيرٌ من المعاصرين إلى أفراد "وصوليين" يبحثون عن المصالح الضيقة، ويختم الغزالي بالتنبيه إلى أن الإصلاحَ الأخلاقي ليس ترفاً، بل هو ضرورةٌ لاستعادة العزة (الغزالي، خلق المسلم، 1987، صفحة 33)، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم؛ 4)، فالدينُ كلُّه أخلاقٌ، والحضارةُ كلُّها قيمٌ.

ويُحذِّر محمد الغزالي من الفجوة الخطيرة بين العقيدة الإسلامية وسلوكيات المسلمين المعاصرة، ويؤكد أن هذا الواقع المتدني لا يعكس حقيقةَ الإسلام الذي أراده الله لـ"**خير أمة أُخرجت للناس**"، فالأخلاق الربانية –كما يرى الغزالي– هي حجر الزاوية في بناء الأمم؛ فـ"العقائد تصنع المثل العليا، والمثل العليا تُوجه السلوك"، ومن دونها تتحول الحياة إلى فوضى أخلاقية تُهدد كيان الأمة (الغزالي، حصاد الغرور، د ت، صفحة 86).

ويشبِّه الغزالي الأخلاقَ بالزرع الذي لا ينمو إلا بالرعاية والمتابعة، فـ"الخلق لا يتكون في النفس فجأة"، ويُحذر من محاولة علاج الانحرافات الأخلاقية باجتثاث مؤقت، فـ"الطباع الرديئة" تحتاج إلى مواجهة دائمة بضوابط الإيمان، إذ إن "ضعف الخلق يدل على ضعف الإيمان"، ويستشهد بقول الله تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ**﴾

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: 17)، ليُبرز أن الأخلاق الحقيقية تتجلى في التوازن بين عبادة الله وحسن التعامل مع الناس (الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، 2003، صفحة 100).

ويُشدد الغزالي على أن الأزمة الأخلاقية الحالية ليست مجرد تراجعٍ في المظهر بل هي انهيارٌ لقيم الانتماء إلى الله تعالى، حيث يتحول بعض المنتسبين إلى الإسلام إلى نُفاةٍ لقيمه، فيقول: "من السفالة أن يحسن المرء معاملة الناس ويسيء إلى ربه"، فالإيمان الحقيقي يقتضي تهذيب النفس لتصبح أهلاً لمعرفة الله تعالى، ولا يُخفي الغزالي تشاؤمه من الواقع المعاصر الذي يزداد "بشاعةً وقتامة" (الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، 2005، صفحة 74).

ويخلص إلى أن انهيار الأخلاق هو السبب الجذري لتردي الأمة، ولا يُغفل الغزالي دورَ النفاق الاجتماعي في تعميق الأزمة حيث يظهر بعضُ المنتمين إلى الإسلام بوجهين: طيبٍ في العلن، وخبيثٍ في الخفاء، فيُسهمون بذلك في تشويه صورة الدين، ويؤكد أن الخلاصَ لا يكون إلا بالعودة إلى الأخلاق "ذات الوجهة الثابتة"، التي تجمع بين صلابة العقيدة وصدق السلوك، فـ"لا يصلح لمعرفة الله إلا من هذب نفسه" (الغزالي، خلق المسلم، 1987، صفحة 27).

ويُعدُّ الإخلاصُ –كما يُؤكّد محمد الغزالي– جوهرَ الدينِ وحجرَ الزاويةِ في البناءِ الأخلاقي للإنسان، لكنَّه يُشير إلى ندرةِ هذا الخُلُقِ في واقعِ المسلمين المعاصر، مُنشغلين بمنافعِ الدنيا العاجلة في تناقضٍ صارخٍ مع قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (البقرة؛ 223)، ويُبرز الغزالي أنَّ الفسادَ الأخلاقي في المجتمعات الإسلامية لا يقتصرُ على الانحرافاتِ الجسدية، بل يتمثلُ بشكلٍ أخطرَ في "معاصي القلوب" كالكِبْرِ والنفاقِ وحبِّ الذات، ويستشهدُ بقصةِ "أمية بن أبي الصلت" الذي ادَّعى الإيمانَ بالله في الجاهليةِ ليتزعمَ دعوةَ التوحيد، لكنه حين بُعثَ النبيُّ محمدٌ صلى الله عليه وسلم كفرَ به غيرةً وحسدًا، فكشفَ هذا الموقفُ عن إيمانٍ مزيفٍ يدورُ حولَ الأنا لا حولَ الحق (الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، مصر، الصفحات 145-145).

ويُحذِّر الغزالي من الانفصامِ بين المظهرِ والجوهر في الممارسةِ الدينية، فكثيرٌ ممن يملؤون المساجدَ بالصلاةِ والذكرِ يمارسونَ في الخفاءِ بخلاً أو كذبًا أو استعلاءً، مُعتقدين أنَّ العباداتِ الشكليةَ تُغطي على عيوبِهم، لكنَّ الغزالي يُؤكد –مستندًا إلى الحديث النبوي– أنَّ "**القلبَ السليمَ**" هو محكُّ القبولِ عند الله تعالى، ويخلصُ الغزالي إلى أنَّ أزمةَ الأمةِ الأخلاقية اليومَ مرتبطةٌ بغيابِ الإخلاصِ الحقيقي، وانتشارِ "التدينِ المزيف" الذي يُنتجُ شخصياتٍ منفصمةً تُشبهُ "الخوارجَ" الذين وصفهم النبيُّ بأنهم "**يَمْرُقون من الدينِ كما يمرُقُ السهمُ من الرمية**"، فالحلُّ –في رؤيته–يكونُ بتربيةِ النفوسِ ومحاربةِ عللِ الكِبْرِ والرياءِ التي تُفسدُ الأعمالَ (الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، مصر، الصفحات 147-148).

3.2 الأسس الفكرية:

وتُجسّدُ الأسسُ الفكريةُ للإسلامِ رؤيةً متكاملةً تُوازنُ بينَ الروحِ والمادةِ كما يرى الشيخُ محمد الغزالي، فقد كانتِ الأمةُ الإسلاميةُ في عصورِها الأولى تمنحُ العالمَ معرفتَها وأخلاقَها وقوانينَها، لأنَّ ثروتَها الفكريةَ والدينيةَ مكَّنتها من قيادةِ مسيرةِ الحضارةِ الإنسانيةِ، أما اليومَ فباتَ العربُ – وفق تحليلِ الغزالي – في موقعِ المحتاجِ الذي يمدُّ يدهُ للآخرينَ، بعدَ أنْ تخلَّوْا عنِ الأسسِ التي جعلتْهم سادةَ الفكرِ والعطاءِ (الغزالي، حصاد الغرور، د ت، صفحة 199).

ويشيرُ محمد الغزالي إلى أنَّ التحديَ الأكبرَ في العصرِ الحديثِ هو طغيانُ المادةِ على الروحِ، وانقلابُ الموازينِ لصالحِ إشباعِ الجسدِ على حسابِ تزكيةِ النفسِ، ويحذّرُ من أنَّ الفراغَ الروحيَّ الناتجَ عنِ ابتعادِ الإنسانِ عنِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ يُولّدُ عبودياتٍ جديدةً تُستبدلُ بها العقيدةُ، وهنا يؤكدُ الغزالي أنَّ الفكرَ الإسلاميَّ لو عُرِضَ بصورتِه الأصيلةِ لكانَ قادرًا على قيادةِ العالمِ ماديًا وأدبيًا (الغزالي، الإسلام المفتري عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، 1997، صفحة 24).

ويناقشُ محمد الغزالي بإلحاحٍ إشكاليةَ الفهمِ المشوَّهِ للدينِ لدى بعضِ المتدينينَ، الذينَ ظنُّوا أنَّ الزهدَ يعني إهدارَ طاقاتِ الجسدِ، أو أنَّ ضمانَ الآخرةِ يتطلَّبُ إهمالَ الدنيا، ويُصحّحُ هذا المفهومَ بالقولِ: "التدينُ الحقيقيُّ ليس جسدًا مهزولًا من الجوعِ، بل جسدٌ مفعمٌ بالقوةِ لتحمُّلِ أعباءِ الحياةِ"، فالعظمةُ الإنسانيةُ تقومُ على تفعيلِ النشاطِ العقليِّ والروحيِّ معًا (الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، 2005، صفحة 81).

ويُبرزُ محمد الغزالي مفارقةً خطيرةً في الحضارةِ الحديثةِ؛ فبينما تقدَّمتْ في علومِ الكونِ، تراجعتْ أخلاقيًا، مما أدى إلى تفاقمِ الظلمِ والفسادِ والإلحادِ، ويُعلّلُ ذلكَ بغيابِ التزكيةِ الروحيةِ التي يحققها الإيمانُ، والتي أكدَ القرآنُ أنها غايةُ التكاليفِ الشرعيةِ: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا**﴾ (الشمس؛ 09)، فالحضارةُ المنشودةُ – وفق رؤيتِه – هي التي تجعلُ العقلَ المؤمنَ رقيبًا على الغرائزِ، فلا تطغى المادةُ على الروحِ، ولا يتحوَّلُ العلمُ إلى أداةِ فسادٍ (الغزالي، قذائف الحق، 1997، صفحة 122).

ويُؤكد الغزالي على أنَّ الإصلاحَ الفكريَّ يبدأ بإحياءِ الأسسِ الروحيةِ التي تُضيءُ القلبَ بنورِ الإيمانِ، وتجعلُ التأملَ في عظمةِ الخلقِ مصدرًا لإلهامِ العقلِ وارتقاءِ الروحِ. فالصلاةُ والصيامُ والإحسانُ ليستْ طقوسًا جوفاءَ، بل أدواتٌ لتحريرِ الإنسانِ من عبوديةِ الهوى، وبناءِ حضارةٍ تتوازنُ فيها القوةُ الماديةُ معَ العدالةِ الأخلاقيةِ (الغزالي، قذائف الحق، 1997، صفحة 123).

ويرى الشيخ أن الإسلامَ دينٌ يُكرّمُ العقلَ ويجعلُ التوافقَ بينَ الإيمانِ والمنطقِ العقليِّ أساسًا لفهمِ التدينِ الحقيقيِّ، بل إنَّ القرآنَ الكريمَ دعا إلى احترامِ الأدلةِ ورفضِ الخرافاتِ التي تتناقضُ معَ البراهينِ، ويستحضرُ الغزالي حادثةً رمزيةً وقعتْ لهُ في الهندِ، حيثُ التقى براهبٍ في صومعتِه ينفخُ في الناي بألحانٍ أثارتْ مشاعرَ الحزنِ والرهبةِ في نفسِه ونفسِ رفيقِه، ويصفُ الغزالي تأثيرَ الموسيقى الروحيِّ على النفوسِ (الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، مصر، صفحة 30)، مستشهدًا ببيتِ شعرٍ للعقادِ:

تهزين أعطاف البخيل فيكرم... ويصغي إليك المشمخر فيرحم

لكنَّه سرعانَ ما ينتقلُ إلى تساؤلٍ جوهريٍّ: ما حقيقةُ الإيمانِ الذي يعيشُه هذا الراهبُ؟ هل هوَ توحيدٌ للهِ أمْ عبادةٌ لأساطيرَ أو مظاهرَ طبيعيةٍ؟ ويُعلّقُ الغزالي قائلًا: "معَ حِدَّةِ عاطفتي، إلا أنَّ الدليلَ العقليَّ أرجحُ عندي من صوتِ المزمرِ الحنون!"، ويرفضُ الغزالي الانسياقَ وراءَ الهيامِ الروحيِّ العاطفيِّ دونَ تمحيصٍ عقليٍّ مؤكدًا أنَّ الإسلامَ علَّمَنا أنْ نقدِّمَ صوتَ العقلِ في كلِّ شيءٍ، ويستدلُّ على ذلكَ بتكرارِ القرآنِ الكريمِ لوصفِ "**أولي الألباب**" نحوَ خمسَ عشرةَ مرةً (الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، مصر، صفحة 30).

وينتقلُ الغزالي إلى نقدِ الممارساتِ الدينيةِ المشوَّهةِ، فيذكرُ أنَّ بعضَ الطيبينَ يحكمونَ على الأمورِ بناءً على أذواقِهم الشخصيةِ، مما يُفضي إلى فتاوى متهاويةٍ أو انحرافاتٍ فكريةٍ، ويُحذّرُ من أنَّ أصلَ أزمةِ الإيمانِ في العصرِ الحديثِ يعودُ إلى مَنْ يخلطونَ بينَ آرائِهم الشخصيةِ وأحكامِ اللهِ عز وجل، ويُشدد الغزالي على أنَّ الحكمَ الشرعيَّ هوَ خطابُ اللهِ المستنبطُ منَ الكتابِ والسنةِ، وليسَ مجردَ إلهاماتٍ أو مناماتٍ فرديةٍ، فليسَ لأحدٍ أنْ يقولَ: "نُفثَ في روعي كذا..."، لأنَّ ذلكَ فوضى تُهدمُ أسسَ

الدينِ، وتُبعدُ عنِ المنهجِ العلميِّ الذي أرادهُ الإسلامُ لفهمِ حقائقِه (الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، مصر، صفحة 31).

في سياق الحديث عن الأسس الفكرية تبرز إشكالية العلاقة بين العقل والإيمان كأحد المحاور المركزية التي تُسهم في تشكيل الرؤية التوحيدية للإنسان والوجود، وقد أثار الكاتب عباس محمود العقاد في نقاشه الفلسفي قضيةً عميقةً تتعلق بطبيعة الإيمان وارتباطه بالعقل حيث يرى أن الإيمان الحقيقي لا ينفي العقلَ بل يكمله ويُوجّهه نحو الغايات السامية، ففي معرض تحليله يؤكد العقاد أن «الْإِيمَانَ هُنَا نَتِيجَةٌ لِعَمَلِ الْعَقْلِ غَايَةَ جُهْدِهِ، وَلَيْسَ نَتِيجَةً لِإِهْمَالِهِ وَإِبْطَالِ وُجُودِهِ»، مُشيرًا إلى أن العقل الإنساني قادرٌ على الوصول إلى ضرورة الإيمان من خلال إدراكه لحدوده أمام الوجود المطلق، وهو ما يُلزمه بقبول «حُجَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّصْدِيقِ بِالْغَيْبِ الْمَجْهُولِ» (العقاد، سبتمبر 2005، صفحة 43).

غير أن العقاد يُحذّر من الانحرافات التي قد تُحوّل الإيمانَ إلى تسليمٍ أعمى يُلغي العقلَ، فيقول: «الْإِيمَانُ الَّذِي يُلْغِي الْعَقْلَ... ضِدَّيْنِ لَا يَجْتَمِعَانِ»، وهذا التحذير يتوافق مع نقد الغزالي للتقليد الأعمى في كتاباته حيث دعا إلى إيمانٍ واعٍ يقوم على البرهان العقلي قبل الاستناد إلى النقل، فالإنسان – وفقًا لهما – لا يُطلب منه أن يُسلِّمَ بلا تفكيرٍ، بل أن يُعمِلَ فكره حتى يصل إلى اليقين (العقاد، سبتمبر 2005، صفحة 44).

الوحدة الإنسانية في الإسلام

1.3 احترام العقل البشري والإرادة الإنسانية:

يؤكد محمد الغزالي أن العقل البشري خُلق ليفكر كما خُلقت العين لتبصر، فتعطيله عن مهامه أشبه بإغلاق الجفون عن الرؤية، فالدين الحنيف يُرسي عقيدته على التأمل في الكون، ويجعل اليقين ثمرةً للتفكير الحر، بينما يرى أن الكفر نتاج عقلٍ أعاقته الشبهات أو أضلّته الأهواء، ويستدل الغزالي بقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**﴾ (سبأ؛ 46)، ويُشير الغزالي إلى أن الإسلام لا يُجرّم حرية الفكر، بل يُحذّر من الغفلة والجمود العقلي، مُعتبرًا إياها حقًّا إلهيًّا على الإنسان، فالكسل الفكري جريمةٌ تُخلُّ بصلات الإنسان بربه وبالوجود، ويربط بين حرية التفكير وعلاقة المسلم بدينه، فالإسلام يقدّم كتابًا مفتوحًا للتدبر (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، الصفحات 64-66).

ويُوضح محمد الغزالي أن الخلاف التاريخي بين المعتزلة وأهل السنة يدور حول حدود سلطة العقل؛ فالمعتزلة وسّعوا دائرة العقل ليشمل الغيبيات، بينما حَدَّدها أهل السنة بمجال المحسوسات، لكن الفريقين – كما يرى الغزالي – اتفقا على تقدير العقل، وإن اختلفا في نطاق عمله، ويقارن الغزالي بين الحضارة الإسلامية وأوروبا في العصور الوسطى، فيذكر أن المجتمع الإسلامي لم يشهد اضطهادًا للعلماء كالذي عانته أوروبا، حيث أُحرق «برنو» وعُذّب «جاليليو» لأفكارٍ علمية بينما ازدهرت في ديار المسلمين حريةُ البحث وتبادل الآراء، مما أنتج إسهاماتٍ رائدة في الرياضيات والفلك والطب (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، الصفحات 67-72)، ويستشهد بكتاب «خلاصة تاريخ العرب» لـ«سيديو» الذي أقرّ بفضل الحضارة الإسلامية في نقل العلوم وتطويرها بينما كانت أوروبا تغوص في ظلام الجهل.

ويرى محمد الغزالي أن الحرية الفكرية في الإسلام هي توازنٌ دقيق بين نداء الفطرة وهدي الوحي، فـ«الذين يتبعون النفس دون نداء الدين هم إما غافلون أو جاهلون أو ضالون»، لكن هذا لا يعني قمعَ الطبيعة الإنسانية، بل السعي إلى «الوسط» الذي

يجعل العقلَ حَكَمًا يُنَقّي الأفكارَ من الأهواء، فالإسلام – كما يوضح الغزالي – لم يُلغِ حريةَ التفكير بل حفّزها عبر آياتٍ تأمر بالتأمل في الكون، وهكذا تجسّدت الحريةُ في تاريخ المسلمين باختلاف المذاهب وتباين الآراء (الغزالي، إحياء علوم الدين، 1916، صفحة 54).

أما من جانب الحرية السياسية فيُبرِز الغزالي أن النظام السياسي في الإسلام يُؤسَّس على مبدأ "الشورى" حيث تُعتبر الخلافة أمانةً تُوكَل للأكفأ، لا حقًّا إلهيًّا أو وراثيًّا، فاختيار أبي بكر وعمر تمّ عبر مشاوراتٍ حرّة رفضت التوريثَ، فيما أصرَّ الإمام عليٌّ على بيعةٍ علنية تعكس رضا الأمة، ويوضح الغزالي أن الوظائف العامة تُمنح لذوي الكفاءة لا للمحابين، مستندًا إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "**مَن وَلَّى رجلًا لمحاباةٍ فعليه لعنة الله**" (الهيثمي، 1994، صفحة 232)، ولا يتوقف الأمر عند الاختيار بل يمتد لرقابة الأمة على الحاكم، فـ«الحاكم أجيرٌ عند الجماعة»، وهكذا يجمع الإسلام بين حرية الاختيار وصرامة المسؤولية، ليصنع نموذجًا للحكم تُقدَّم فيه مصلحةُ الجماعة على مطامع الفرد (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، الصفحات 54-64).

ويرى محمد الغزالي أن الديمقراطية يمكن استيعابها ضمن التشريع الإسلامي عبر أدوات الاجتهاد كـ«المصلحة المرسلة» و«الاستحسان»، شريطة ألا تتعارض مع النصوص الشرعية، فالديمقراطية منهجٌ إجرائيٌّ لتدبير السلطة يقوم على الشورى والمشاركة، ويُعارض الاستبداد دون أن يُلزم الأمة بقيمٍ خارج إطار مرجعيتها، ويؤكد الغزالي أن هذه «التكنولوجيا السياسية» تتيح للمسلمين صياغةَ أنظمة حكمٍ تلتزم بالمبادئ الإسلامية في المضمون، بينما تستفيد من الآليات الديمقراطية في الشكل، وهكذا تتحول الديمقراطية إلى أداةٍ مرنةٍ لتحقيق «العدل» و«المصلحة»، دون أن تتعارض مع الثوابت الشرعية (الغزالي، السنة النبوية بين أهل الفقه..و أهل الحديث، 1996، صفحة 148).

أما من جانب الحرية الدينية فيُؤكد محمد الغزالي أن الإسلام رسخ مبدأ الحرية الدينية كأساسٍ لإيمانٍ صادقٍ ينبع من اقتناعٍ عقليٍّ وقلبيٍّ مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ (البقرة؛ 256)، فالدعوة الإسلامية اعتمدت على البيان والحجة، ويُبرز الغزالي أن الصراعات التاريخية مع غير المسلمين لم تكن لأسباب دينية، بل لانتهاكهم المواثيق مؤكدًا أن الإسلام يرفض الاضطهاد الديني ويَدعو إلى الحوار الهادئ: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (النحل؛ 125)، كما يرفض التقليدَ الأعمى للآباء داعيًا إلى إيمانٍ واعٍ يقوم على التأمل في آيات الكون: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ (آل عمران؛ 190)، ويُقارن بين التسامح الإسلامي الفريد وبين الحروب الدينية الأوروبية التي شوهت الضمير الإنساني ليُثبت أن الإسلامَ نموذجٌ فريدٌ لِلحرية الدينية التي تُوازن بين الحقِّ في الاعتقاد وواجبِ العدل (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، الصفحات 72-79).

ويرى محمد الغزالي أن الإسلام يُكرس مبدأ المشاركة الفاعلة في الحياة العامة كحقٍّ أساسي لكل فرد، مستندًا إلى مبدأ الشورى القرآني: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ (الشورى؛ 38)، فلكل فرد حقُّ الإطلاع على شؤون الأمة والمشاركة فيها وفق كفاءته كما أن تولية المناصب تقوم على الجدارة لا المحسوبية، استنادًا إلى الحديث النبوي: "**مَن وَلَّى رجلًا لمحاباةٍ فعليه لعنة الله**"، ويؤكد أن الشورى عقدٌ أخلاقي بين الحاكم والأمة، كما تجلّى في قول أبي بكر: "**أطيعوني ما أطعتُ الله، فإن عصيتُه فلا طاعة لي عليكم**" (شريف، 2003، صفحة 63)، ويستشهد الغزالي بنموذج عمر بن الخطاب الذي ترك اختيار الخليفة للصحابة ليُبرز

مرونة النظام الإسلامي في الجمع بين المشاركة الشعبية والضوابط الشرعية، تحقيقًا للعدل (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، صفحة 217).

أما من جانب حريةَ الفكر والاعتقاد والتعبير فيرى محمد الغزالي أن الإسلام يُكرسهم كحقوقٍ أساسية مشروطة باحترام الضوابط الشرعية التي تحمي المصلحة العامة، فلكل فرد الحق في التعبير عن آرائه ومعتقداته، شرط ألا يُروج للباطل مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ... لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ**﴾ (الأحزاب؛ 60-61)، ويُؤكد أن التفكير الحر ليس حقًّا فحسب بل واجبٌ ديني يدعو للبحث عن الحق، ويُبرز الغزالي أن مقاومة الظلم واجبٌ أخلاقي مستشهدًا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "**كلمة حق عند سلطان جائر**" (أخرجه أبو داود)، معتبرًا إياه أسمى أنواع الجهاد، كما يرى أن نشر المعلومات حقٌّ مكفول ما لم يهدد أمن المجتمع، وفقًا لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ...**﴾ (النساء؛ 83)، ويُشدِّد على ضرورة احترام معتقدات الآخرين، داعيًا إلى تجنب السخرية منها، وهكذا يجمع الإسلام بين ضمان الحريات الفردية ومراعاة القيم الجماعية (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، صفحة 217).

يؤكد محمد الغزالي أن الإسلام يُرسي مبدأ الحرية الدينية كحقٍّ أصيلٍ للإنسان حيث يُترك للفرد حريةُ اختيار عقيدته وممارسة عبادته وفقًا لمعتقده، دون إكراه أو تدخل (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، الصفحات 217-218)، ويُبرز الغزالي أن الإسلام لم يُجبر أحدًا على اعتناقه بل دعا إلى الإيمان عبر الحجة والبيان، محترمًا إرادةَ الإنسان في تقبُّل الحق أو رفضه، ويُشدد على أن هذه الحرية لا تعني الفوضى أو التساهل مع الإساءة إلى المقدسات، بل تقوم على التعايش الكريم واحترام التعددية الدينية (ربيحة، 2018، صفحة 236).

وينتقد محمد الغزالي المبالغةَ في تقدير الفنون الاستهلاكية كالغناء والرقص والتمثيل والتي تحظى باهتمامٍ ماديٍّ واجتماعيٍّ يفوق مكانتها في المجتمعات الإسلامية، مُقارنةً بالدور المحوري للدين وواجبات البناء والتعمير، ويؤكد أن الفن يجب أن يخضع لرقابةٍ صارمةٍ تحفظه ضمن إطار المصلحة العامة والمثل العليا للأمة دون إنكارٍ لدور الفن الراقي الذي يُنمي المشاعر الإنسانية النبيلة. (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، الصفحات 192-195).

2.3 احترام الكرامة المادية والمعنوية للإنسان:

أولا. الكرامة المعنوية:

يؤكد محمد الغزالي أن الإسلام يُكرس كرامةَ الإنسان المعنوية عبر عدة حقوق أساسية نذكر منها:

- ✓ **حق الحياة:** تُعدّ حياة الإنسان مقدسةً لا تُنتهك إلا بسلطان الشريعة، مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ... فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ (المائدة؛ 32)، مع وجوب احترام الجسد حيًّا وميتًا.
- ✓ **حق الحرية:** يرى الغزالي أن الحريةَ فطرةٌ إنسانيةٌ لا يُسوغ انتهاكها، ويُبرز حق الشعوب في مقاومة الاحتلال، وفقًا لقوله تعالى: ﴿**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ...**﴾ (الشورى؛ 41).
- ✓ **حق المساواة:** يُشدِّد على تساوي الناس أمام الشريعة والقيمة الإنسانية، مستندًا إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "**لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى**" (أخرجه أحمد).

- ✓ **حق العدالة:** يضمن الإسلام – بحسب الغزالي – حقَّ الفرد في التحاكم إلى الشريعة، ودفع الظلم عن نفسه وغيره، (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، الصفحات 212-214)، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ (النساء؛ 59).
- ✓ **حق الحماية من تعسف السلطات والتعذيب والتعرض للعِرض وسمعة الفرد:** يُؤكد محمد الغزالي أن الإسلام يحمي الفرد من تعسف السلطات، فلا يُوجَّه اتهامٌ أو يُطالَب بتبرير أفعاله إلا بقرائن قوية، استنادًا لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ... فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا**﴾ (الأحزاب؛ 58)، كما يُصون الإسلامُ عِرضَ الفرد وسمعته، ويمنع التجسس أو السباب أو التنابز بالألقاب، وفقًا لقول النبي: "**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام**" (رواه مسلم). (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، الصفحات 215-217).
- ✓ **حقوق الأقليات:** يؤكد الشيخ أن الإسلام يكفل للأقليات الدينية حريةَ الاعتقاد وفق مبدأ ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ (البقرة؛ 256)، ففي الشؤون المدنية يحق لهم التحاكم إلى شرائعهم الخاصة إذا رفضوا الشريعة الإسلامية، بشرط أن تكون منضبطةً بأصلٍ ديني معترف به، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ**﴾ (المائدة؛ 47).
- ✓ **حق الفرد في حماية خصوصياته:** يُحرِّم الإسلام انتهاك حرمة الفرد استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾ (الحجرات؛ 12)، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ**"(صَحِيح الْجَامِع)، ويُحذر الإسلام السبَّ أو التنابز بالألقاب، داعيًا إلى احترام الكيان الأدبي للإنسان (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، صفحة 216).
- ✓ **حق التعليم:** يرى الغزالي أن التعليم رحلةٌ لتنمية العقل واكتشاف أسرار الكون، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...**﴾ (النحل؛ 78)، والقرآن الكريم يُحفِّز على التأمل في الظواهر الطبيعية كطريقٍ للإيمان مُوضحًا أن العلم والدين متكاملان في بناء الإنسان الواعي بقوانين الحياة وخالقها (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، الصفحات 177-182).

ثانيا. الكرامة المادية:

أما من جانب الحقوق المادية –حسب محمد الغزالي- فسنستحضر ما يلي:

- ✓ **حق العمل والاجرة وأوقات الراحة:** يرى الشيخ أن العمل حقٌّ وواجبٌ في الإسلام، مع وجوب إتقانه كعبادة، ويستحق العامل أجرًا عادلًا، وفق حديث النبي: "**أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ**" (صحيح ابن ماجه).
- ✓ **حق حماية الملكية:** والملكية الخاصة مُقدَّسة ولا تُنتزع إلا للمصلحة العامة مع تعويض عادل، والاعتداء على المال العام جريمةٌ أشد عقابًا؛ لكونه خيانةً للأمة، استنادًا لحديث النبي عن عقاب المختلسين (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، الصفحات 221-222).

- ✓ **حق حماية الفرد في كفايته من مقومات الحياة:** فمن حق الفرد الحصول على ضروريات الحياة (طعام، مسكن، صحة، تعليم)، وتُلزم الأمة بمساعدة من يعجز عن توفير احتياجاته، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ (الأحزاب؛ 06).
- ✓ **الحقوق الاقتصادية:** وتُحرَّم المعاملات كالربا والاحتكار والغش والاستغلالية وتُشجَّع التجارة العادلة، أما الزكاة حقٌّ للفقراء فتُجبى كحقٍّ إلزامي، أما الموارد الطبيعية ملك للأمة فتُستثمر لصالح الجميع، وفيما يخص التوازن بين الملكية الخاصة والعامة فتُوجَّه الثروات لتحقيق العدالة وتمنع تكديسها لدى الأغنياء فقط (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، صفحة 219).

3.3 احترام كيان الأسرة والاختلاف الإنساني والفيزيولوجي بين الرجل والمرأة:

يُؤكِّد الشيخ أن الإسلام يُعلي شأن الزواج كعبادةٍ تُقرِّب العبد إلى الله عز وجل، فالفطرة السليمة التي تستغل طاقات الجسد في مرضاة الله – كما يرى الغزالي – هي فطرة صالحة والعلاقة الزوجية قُربةٌ يُثاب عليها المؤمن، كما يُنبِّه الغزالي إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم حذَّر من الرهبانية الكاذبة مؤكدًا أن الزواج من سنن المرسلين (الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، 2005، صفحة 122)، مستدلًا بقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً**﴾ (الرعد؛ 38).

كما يؤكد المفكر محمد الغزالي أن الأسرة هي الحصن الذي تُقاس به قوة الأمة أو ضعفها، لذا فإن أيَّة عوامل تهدد تماسكها أو تُضعف دورها التربوي والاجتماعي أو تُلوث نقاءَ جوهرها الروحي والأخلاقي يجب مواجهتها بصرامة وفق تعاليم الإسلام التي تحرص على تحصين الكيان الأسري. (الغزالي، معركة المصحف في العالم الإسلامي، يناير 1996، صفحة 246).
ويُوضِّح الغزالي أن الإسلام شرع ضوابطَ لحماية كيان الأسرة، منها (الغزالي، معركة المصحف في العالم الإسلامي، يناير 1996، الصفحات 124-126):

- ✓ **غض البصر:** ويذكر أن الأمر الإلهي بغض الأبصار جاء كخطوة أولى لصون العفة، لقوله تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ... وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ**﴾ (النور؛ 30-31).
- ✓ **إخفاء الزينة ومنع التبرج:** يُشدِّد الغزالي على أن الإسلام حرَّم التبرج الذي يُفكك روابط الأسرة، مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ (النور؛ 31)، محذِّرًا من اتباع موضات الإثارة التي تُحوِّل العلاقات الإنسانية إلى "مستوى الحيوانات".
- ✓ **سد ذرائع الفساد:** يرى الغزالي أن تحريم الخلوة والاختلاط الفاجر – كما في حديث "**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ**" – (رواه البخاري)، هو ضمانةٌ لحماية المجتمع من الانحلال.
- ✓ **عدم وجوب الطلاق بدون بينة:** يستدل بقوله تعالى: ﴿**وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ (الطلاق؛ 02)، ويُعلِّق: «فمن طلَّق دون إشهادِ عدلٍ، فطلاقه باطلٌ عند جمهور الفقهاء».

- ✓ **طلاق الغضبان لا يقع:** يُؤكِّد الغزالي أن النبي صلى الله عليه وسلم نبَّه إلى ذلك في حديث "**لَا طَلَاقَ وَلَا عِتَاقَ فِي إِغْلَاقٍ**" (رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه)، (أي الغضب الشديد)، معتبرًا أن الإسلام يُراعي الطبيعة البشرية ويحمي الأسرة من قرارات الهوى.

ويُقدِّم الشيخ محمد الغزالي في إطار الرؤية الإسلامية المتكاملة للأسرة تحليلًا عميقًا لمنظومة الحقوق المتبادلة بين أفراد الأسرة حيث يناقش ثلاثة محاور رئيسية:

أولًا: حق بناء الأسرة: يُؤكِّد محمد الغزالي أن الإسلام جعل الزواج حقًّا إنسانيًّا وشرعيًّا لبناء الأسرة، وحفظ النسل، وإعفاف النفس، مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ (النساء؛ 01)، ويرى الغزالي أن العلاقة الزوجية تقوم على التكامل لا التصارع، قررتها الشريعة: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ (البقرة؛ 228).

ويُضيف الغزالي أن للأب مسئوليةً كبرى في تربية الأبناء بدنياً وأخلاقياً مستشهدًا بحديث: "**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**" (تخريج المسند لشاكر) ، مُحذِّرًا من إهمال هذه المسئولية أو تحويلها إلى سلطة استبدادية.

ثانيًا: حقوق الزوجة: يُفصِّل الشيخ حقوق الزوجة في الإسلام مُبرزًا بأنها كيانٌ له ضماناتٌ شرعية:

- ✓ **الحق في السكن والنفقة:** يستدل بقوله تعالى: ﴿**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ**﴾ (الطلاق؛ 06)، ويُعلِّق: «على الزوج أن يُنفق على زوجته بالمعروف، سواء في حال الزواج أو خلال العدة، فالنفقة حقٌّ لا تفضُّل».
- ✓ **الحق في الخلع والتطليق:** يُؤكِّد الغزالي أن الإسلام منح المرأة حقَّ فكِّ الرابطة الزوجية، مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**﴾ (البقرة؛ 229)، قائلًا: «الخلع ليس فشلًا، بل حلٌّ شرعي لحماية الكرامة الإنسانية».
- ✓ **الحق في الميراث:** يرى الغزالي أن آيات الميراث كقوله تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ**﴾ (النساء؛ 12)، تُجسِّد عدالة الإسلام.

ثالثًا: حق التربية: يُركِّز محمد الغزالي على أن التربية الصالحة حقٌّ للأبناء وواجبٌ على الآباء، مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ (الإسراء؛ 24)، ويُوضِّح:

- ✓ **التعليم حق للجميع:** يُشدِّد الغزالي على أن طلب العلم فريضةٌ على الذكر والأنثى، مستشهدًا بحديث: "**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**" (رواه ابن ماجه)، قائلًا: «التعليم ليس ترفًا، بل سلاحٌ لبناء الأجيال».
- ✓ **رعاية المجتمع للأيتام والعاجزين:** يُذكِّر الغزالي بحديث: "**أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، فَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَعَلَيَّ**" (رواه البخاري)، داعيًا إلى تضامن المجتمع في تربية من عجزت أسرهم عن رعايتهم.

ويؤكد الغزالي أن التربية عملية حيوية تهدف إلى صقل الملكات الكامنة في الإنسان وتنميتها، كالفلاح الذي يعتني بأرضه فيُزيل الشوك ويُبعد الأعشاب الضارة ليسمح للنبات الأصيل بالنمو القوي، فالتشبيه الذي يطرحه الغزالي يربط بين جوهر التربية والتنقية

المستمرة من المؤثرات السلبية مع التركيز على تعزيز القيم والمهارات الفطرية التي تُسهم في بناء شخصية متوازنة، ويرى أن دور التربية لا يقتصر على التلقين، بل هو إحياءٌ للفطرة السليمة وتوجيهها نحو الخير انسجاماً مع الرؤية الإسلامية (الغزالي، رسالة أيها الولد، 1969، صفحة 34).

خاتمة:

جاء الإسلام ليُكرّم الإنسان بوصفه كائنا مُكرَّما عند الله عز وجل، فلم يُفرّق بين البشر بسبب عرق أو طبقة أو جنس بل نظر إليهم كأعضاءٍ في أسرةٍ إنسانيةٍ واحدةٍ تستحق الكرامةَ المادية والمعنوية، وقد أبدع الشيخ محمد الغزالي في إبراز هذه الرؤية الشاملة مؤكداً أن الإسلامَ سبقَ المنظّمات الدولية الحديثة –كالأمم المتحدة– في تقرير حقوق الإنسان واحترام حاجاته الروحية والمادية حيث جعل العدلَ والرحمةَ أساساً لبناء مجتمعٍ يُصانُ فيه العقل وتُحفظُ فيه الحرمات وتُلبَّى فيه ضرورات الفرد دون إهدارٍ لقيمته الإنسانية، وفي الأخير توصلنا إلى جملة من النتائج:

- ✓ كشف الغزالي أن تدهور الأمة الإسلامية نتج عن تشويه مقصود للإسلام وتفريط المسلمين في تطبيق تعاليمه الشاملة.
- ✓ أكد الشيخ أن النهضةَ تتطلب عودةً إلى الإسلام كنظامٍ متكاملٍ يربط بين العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع، ورفضَ التجزئة أو الانتقائية في تطبيق الأحكام.
- ✓ وبيَّن الشيخ أيضا أن الإسلام رفض التمييزَ العرقي أو الطبقي وجعل التفاضلَ بالتقوى، وكفل حقوقَ الأقليات، وهو ما سبقَ المواثيق الدولية.
- ✓ دعا الغزالي إلى حضارة تجمع بين التقدُّم العلمي والتزكية الأخلاقية، ورفض النموذج المادي الغربي الذي يهمّش القيم الروحية.
- ✓ قدَّم الغزالي رؤية نقديةً لانحرافات المسلمين، ودعا إلى فهمٍ متوازنٍ للإسلام يجمع بين النصوص الشرعية ومتطلبات العصر، مع الحفاظ على الهوية.

المصادر والمراجع:

العقاد, ع .م) .سبتمبر .(2005*الإنسان في القرآن*.المجلد 4. مصر :شركة نهضة للطباعة والنشر والتوزيع.

الغزالي, م 1406) .هـ .(*مشكلات في طريق الحياة الاسلامية* .الدوحة :الدوحة الحديثة.

الغزالي, م .(1916) .*إحياء علوم الدين* .المجلد 3 . القاهرة :د ن.

الغزالي, م .(1969) .*رسالة أيها الولد* . المجلد 3 . بيروت :اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع.

الغزالي, م .(1987) .*خلق المسلم* . المجلد 1 . مصر :دار الريان للتراث.

الغزالي, م .(1996) .*السنة النبوية بين أهل الفقه..و أهل الحديث* . المجلد 4 . الجزائر :دار الهدى للطباعة والنشر و التوزيع.

الغزالي, م .(1997) .*الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين* . المجلد 1 . مصر :نهضة مصر.

الغزالي, م .(1997) .*قذائف الحق* . المجلد 2 . دمشق :دار القلم.

الغزالي, م .(1998) .*الطريق من هنا* .القاهرة :دار الشروق.

الغزالي, م .(2003) .*تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل* . المجلد 5 . مصر :دار الشروق.

الغزالي, م. (2005). *الاسلام الطاقات المعطلة*. مصر: نهضة مصر.
الغزالي, م. (2005). *الظلام من الغرب، ط 4*، . مصر: نهضة مصر.
الغزالي, م. (2005). *حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة* . المجلد 4 . مصر: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
الغزالي, م. (2005). *سر تأخر العرب والمسلمين* . ط 04، مصر: نهضة مصر.
الغزالي, م) . د ت .(*حصاد الغرور* . مصر: مطابع الشروق.
الغزالي, م) . مصر .(*دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين* . د ت: دار الشروق، .
الغزالي, م) . يناير .(1996*معركة المصحف في العالم الإسلامي* . مصر: نهضة مصر.
الهيثمي, ا. ن .(1994). *مجمع الزوائد* . المجلد 5 . القاهرة: مكتبة القدسي.
ربيحة, ب. ح, 2018) . جوان .(الحرية الدينية في الإسلام مصادرها ومبادئها *مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية .04* ,
شريف, ب. م. (2003). *الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان* . المجلد 2 . القاهرة: دار الشروق.

References :

al-‘Aqqād, ‘A. M. (Sibtambir 2005). al-insān fī al-Qur’ān. al-mujallad 4. Miṣr : Sharikat Nahḍat lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.
al-Ghazālī, M. (1406 H). Mushkilāt fī ṭarīq al-ḥayāh al-Islāmīyah. al-Dawḥah : al-Dawḥah al-ḥadīthah.
al-Ghazālī, M. (1916). Iḥyā’ ‘ulūm al-Dīn. al-mujallad 3. al-Qāhirah : D N.
al-Ghazālī, M. (1969). Risālat ayyuhā al-walad. al-mujallad 3. Bayrūt : al-Lajnah al-Lubnānīyah li-tarjamat al-Rawā’i‘.
al-Ghazālī, M. (1987). khalq al-Muslim. al-mujallad 1. Miṣr : Dār al-Rayyān lil-Turāth.
al-Ghazālī, M. (1996). al-Sunnah al-Nabawīyah bayna ahl al-fiqh .. wa ahl al-ḥadīth. al-mujallad 4. al-Jazā’ir : Dār al-Hudá lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa al-Tawzī‘.
al-Ghazālī, M. (1997). al-Islām al-muftará ‘alayhi bayna al-Shuyū‘īyīn wālr’smālyyn. al-mujallad 1. Miṣr : Nahḍat Miṣr.
al-Ghazālī, M. (1997). qdhā’f al-Ḥaqq. al-mujallad 2. Dimashq : Dār al-Qalam.
al-Ghazālī, M. (1998). al-ṭarīq min hunā. al-Qāhirah : Dār al-Shurūq.
al-Ghazālī, M. (2003). turāthinā al-fikrī fī mīzān al-shar‘ wa-al-‘aql. al-mujallad 5. Miṣr : Dār al-Shurūq.
al-Ghazālī, M. (2005). al-Islām al-ṭāqāt al-mu‘aṭṭilah. Miṣr : Nahḍat Miṣr.
al-Ghazālī, M. (2005). al-ẓalām min al-Gharb, Ṭ 4,. Miṣr : Nahḍat Miṣr.
al-Ghazālī, M. (2005). Ḥuqūq al-insān bayna Ta‘ālīm al-Islām wa-i‘lān al-Umam al-Muttaḥidah. al-mujallad 4. Miṣr : Sharikat Nahḍat Miṣr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.
al-Ghazālī, M. (2005). Sirr ta’akhkhara al-‘Arab wa-al-Muslimīn. Ṭ 24, Miṣr : Nahḍat Miṣr.
al-Ghazālī, M. (D t). Ḥaṣād al-ghurūr. Miṣr : Maṭābi‘ al-Shurūq.
al-Ghazālī, M. (Miṣr). Dustūr al-Waḥdah al-Thaqāfīyah bayna al-Muslimīn. D t : Dār al-Shurūq,.
al-Ghazālī, M. (Yanāyir 1996). Ma‘rakat al-Muṣḥaf fī al-‘ālam al-Islāmī. Miṣr : Nahḍat Miṣr.
al-Haythamī, A. N. (1994). Majma‘ al-zawā’id. al-mujallad 5. al-Qāhirah : Maktabat al-Qudsī.
Rabīḥah, b. Ḥ. (2018, Juwān). al-ḥurrīyah al-dīnīyah fī al-Islām maṣādiruhā wa-mabādi’uhā. Majallat Rawāfid lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, Jāmi‘at Ghardāyah, 24.
Sharīf, b. M. (2003). al-wathā’iq al-Dawlīyah al-ma‘nīyah bi-ḥuqūq al-insān. al-mujallad 2. al-Qāhirah : Dār al-Shurūq.